الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

أكثر من نداء

دنى غالى
كوبنهاجن

١

في مقال عنوانه "المستقبل للمرأة" وجه الاخ سعد محمد رحيم نداءا الى المرأة يحثها على استثمار قدراتها من اجل خلق فرصة استحقاق لها للمشاركة في ادارة مختلف مرافق الدولة سياسيا وعلميا وفنيا. وقد وجه نداءه بدءا إلى ربما من هم بحاجة الى التوقف عند قدرات ومهارات المرأة، اضافة الى صفات بيولوجية اخرى تتمتع بها ليؤكد لهم وللمجتمع حجم الهدر الذي نغفله من اجل بناء مجتمع مقبل على النهوض والتطور فيما لو أمعنا في عزل هذا الكائن والسكوت على ما يمارس ضده. في أول قراءتي للمقال كان انطباعي هو انها دعوة محزنة أوِ نداء مؤلم ارفض تماما ان انجر اليه عندما يضطرنا الحال حقيقة ونحن في القرن الحادي والعشرين الى استعراض قابليات المرأة لكي نقنعها ونقنع النصف الاخر بأهليتها للمشاركة وأحقيتها بتبوء مناصب أعلى في الدولة. نحن نعود الى الصفر في تجربتنا مع المرأة إذاً!

ولكن تمعني بعد حين اضطرني الى التفكير في جملة من القضايا التي تشعبت ولا اظنها ستنتهي فالحديث عن حقوق المرأة هو حديث عن حقوق الانسان، وهو الموضوع الذي حظي في العقود الاخيرة بمكانة خاصة لما له من أهمية من خلال تركيزه على قيمة الانسان بالدرجة الاساسية وان عني البعض بأهدافه السياسية أو ركز على اقترانه بالفكر الغربي. الظرف الامني له دوره بالطبع في الحد من حرية المرأة سواء في العمل او اجتماعيا ولكن لا يجب ان يكون ذلك حجة للذين يرون في ممارستها لحقها منافسة او مخالفة للتقاليد سواء من منطلقات دينية او عشائرية او بدوية. صورة الشابة الخريجة التي قتلت في البصرة العام الماضي لا تمحى من مخيلتي. لجمالها ولذكائها ولشبابها وتحصيلها العالي الذي كان سيكون له دوره اليوم في تطوير مرفق مهم من مرافق الدولة. تحمل عمتها الصورة وتدور بها لتريها للعالم هنا حرقة وحزنا. ولا استطيع تصور وحشية من قام باغتيالها او من اعطى اوامره بذلك، ولكن الامر واضح كل الوضوح في ان هناك يدا كانت تتقصد شل المرأة تماما واقامة الحجر عليها. وإن هناك من يريد ان يجبر الرجل قبل المرأة وبالترهيب على القبول بوضع هجين وغريب علينا. لايمكن لشيء ان يعوض خسارتنا الفادحة لهذه الشابة والعشرات مثلها من الذين راحوا ضحية همجية لا يمكن ان يرتكبها البشر الاسوياء. وحدها سياسة الدولة الداعمة للمرأة، المنتصرة لها هي الاكليل الذي يتوجب عليها ان تضعه الان، اليوم قبل الغد، على قبرها، وان يقبلونه الاهالي كإعتذار منا كمجتمع لهم. نحن بانتظار ان يلتفت المسؤولون الى اهمية ذلك.

٢

لم يعد من السهل على الرجل أن يقنع المرأة بأنه ديمقراطي، أعني هنا المرأة التي تكتب وتقرأ وتدرك ان لها قيمة وكيان، المرأة التي تحدد أو تعمل على تحديد شخصيتها (من أنا؟)، المرأة التي لها قرارها (وإن كان في سرها نتيجة ظرف طارىء)، المرأة التي تفهم حقوقها وتخطط وتبتكر وتحتال وتواصل وتصر لتنتزعها. هذه المرأة تريد من الرجل والشاب، الاخ، الابن، الزوج، الصديق، الزميل، الوزير ورئيس الدولة الاعتراف بها والمساواة معه ممارسة وتطبيقا، لا خطابات أو شعارات ومطمطة وتعلّل. كل ما قدم من قبل الحركات اليسارية، ولا يمكننا ان ننكر ما حققته للمرأة والمجتمع في العراق، كان قاصرا وسببا ربما في عرقلة حركة تقدمها اكثر واكثر في فرصتها تلك، وما أقل فرص المرأة لو تدرك ذلك. ارجو للرجل هنا ان يمهلني ثوانٍ قبل ان يدير للمقال وجهه، فلن أقع في النمطية والتعميم في كتابتي، وأرجو وبخطٍ احمر عريض وتحته خطان ألا يعدّها منطلقات نسوية تثير فيه حساسية الاستيراد وغيره مما ليس هو في صالح محاولة انتشال المرأة حاليا من الوضع المتردي التي وضعت فيه بالفعل. نحن نتناول هنا شأنا محليا بحتا، الهدف منه دعم الاسرة والحفاظ على تماسكها من خلال صيانة حقوق المرأة والعمل على توعيتها وتطوير فرصها. وأؤكد بالمرة ان ما لمسناه ونلمسه الان من تميز لدى بعض الرجال (أو بعض النساء) كان ومازال استثناءا وامتيازا، وليس قاعدة او عموم حال، وذلك ليس بالجديد او الغريب في مجتمع يقيد كل من الرجل والمرأة ويعود بهما معا مئات السنين الى الوراء. لربما يجدر القول والتأكيد لو كان الوضع صحيا لما شهدنا هذا التأخر المريع لحضور المرأة (غير المتلفلفة على حالها) على جميع الصعد. النهوض بالمرأة نهوض بالرجل والمجتمع والنهوض بالمجتمع والرجل نهوض بالمرأة بلاشك. بالإمكان وبكل بساطة اثبات تقدم المجتمعات وتحضرها من خلال مقياس بسيط جدا وقاطع لايقبل نقاشا ألا هو وجود المرأة، البنت، الشابة، العجوز في كل مكان في حياتنا اليومية وحيث يوجد الرجل، بملء حريتها وارادتها والشكل الذي تختاره لظهورها به. ان توجد في حديقة عامة او مقهى تشرب استكان شاي او قهوة على راحتها، ايمانا بحريتها الشخصية، ان تجدها طالبة وقاطعة تذاكر بنفس الوقت في وقت فراغها لأنها ترغب في أن تسد مصاريف احتياجاتها الخاصة اضافة الى السعي لكسب خبرة في الحياة لتعرف كيف تختار طريقها مستقبلا، أن تجدها تنزوي في مكتبة عامة لتقرأ وتتابع وتبحث، أن تطل عليك في التلفزيون وزيرة ومديرة شرطة، أن تجدها في المسرح مخرجة، أو متفرجة تعود ليلا بأمان بعد حضورها عرضا مسرحيا أو أي نشاط ثقافي آخر، أن تستقل حافلة أو تاكسي دونما تعرض لمضايقة أو تحرش. الرجل في هذه الحالة وببساطة سيكون قد اعتاد وجودها في جو من المخالطة الطبيعية التي تعطي بالتالي ردود فعل طبيعية (وفق صورة الرجل بالعقلية الدينية). مضحك حد السخرية ان نسمع خبرا عن اصدار قرار بفصل المصاعد الى نساءٍ ورجال من قبل وزارة ما !! من سنّ هذا القرار وأي حزب رفع تلك المدونة؟ هل صار قانونا؟ من صادق عليه بحق؟ وكيف يمكن لرجل ان يفرض مزاجه على مجتمع لم يكن له يوما عهدا بهذا التشويه وهذا الخلط بالقيم وهذا الفهم القاصر للأخلاق وللمحافظة؟ انه ببساطة إحراج وإهانة للرجل قبل المرأة، عندما يظهره بهذا المظهر الحيواني الذي لا سلطة له على غرائزه. ما لهذا المجتمع يتعمم ويتبرقع ويمعن في التخفي خلف السواد. هل هناك ما لايحصى من العيوب ما يجب اخفاؤها او التستر عليها؟ المظهر الانساني والحضاري يجب ان يكون واضحا مكشوفا شفافا لان طبيعة الانسان هي هكذا ولن يفلح احد في تغييرها فذلك لن يستمر ابدا. وان كانت هناك اعراف وقيم وعادات تعمل على تأخير المجتمع وتقف عائقا في سبيل تقدمه فلننبذها جميعا. سؤالي ما الذي ينقصنا لكي نمرر مثل هذه الممارسات و نقبلها؟

٣

مشهد أول

امرأة متقدمة قليلا في العمر بدأ زوجها يتذكر الورد ويتحين المناسبات لتقديمه لها في بلاد الغربة. هذه المرأة لا تريد أو تأبى ان تغفر لزوجها ما أغفله طيلة حياتهما في الوطن. باختصارٍ ووفق رؤيتها فالذي فاتها لن يعوّض والدور التقليدي الذي كان يمارسه هناك معها بقي محفورا بذاكرتها، يبرز في كل موقف بتأثير المقارنة التلقائية التي تحدث في اليوم المعيش في المجتمع الاخر. ولكني تنبهت في خضم نقاشي ومزحي معها الى أمر ايجابي جاد الى حد بعيد يخص الاصدقاء والزملاء العراقيين ولأجيال مختلفة حقا. ربما من الضروري هنا وتوخيا للدقة ان أذكر ان هؤلاء الرجال هم من الليبراليين واليساريين والعلمانيين عموما من الذين نخالطهم. هؤلاء لم يجدوا صعوبة في التأقلم مع طبيعة هذا المجتمع، من خلال هدم الحدود الفاصلة لدوري الأنثى والذكر في العائلة، والمهم من خلال دعم المرأة تطبيقا من اجل اكمال دراستها او الخروج للعمل، والاهم من المهم هو هذا الموقف الايجابي من ان الحياة تعاون وان الحياة لا تستقيم على ظلم أحد، سواء كان امرأة او رجل او طفل. كل هذه الايجابيات التي لمستها سواء ترجمت عمليا حال مغادرة البلد من قبلهم أو تأتت بعد فترة من المشاهدة والاختلاط تؤكد على ان الرجل هو الاخر قد رسم له دور لا يتمناه أو لم يكن بمقدوره ربما الاعتراض عليه في مجتمعه. انها نقطة تسجل لصالح الرجل العراقي (مع تحية).

مشهد ثان

كان للوالد صديق مثار تندر ونكتة بين اصدقائه من المعلمين والفنانين والكتاب والشعراء في البصرة، لأنه لم يكن يتردد بإرتداء الصدرية المنزلية حينما يشرع بمساعدة زوجته في الاعمال المنزلية. بل انه وكما اذكر لم يتردد بالخروج الى الشارع لمناداة أطفاله مرتديا إياها. كم يبدو الامر مضحكا اليوم عندما نستعيد تفاصيل حالات مماثلة كثيرة ونقارنها بما يؤمن به أو على الاقل ما يقوم به هؤلاء الاصدقاء وابناؤهم اليوم هنا. ولن استطيع إلا ان أذيّل ما تقدم بغمزة صغيرة هي ان الرجل هنا ولكي يثبت رجولته وبنفس الوقت قدراته الناعمة، كما يطلق عليها، دخل المطبخ مختارا وحرص على ارتداء الصدرية الطويلة من موديل اللف حول البطن التي يستعملها الطهاة الجدد. والطلب كبير جدا على الشباب من الطهاة اليوم على فكرة!

مشهد ثالث

أحاول ان أمرر تعليقا اثناء حديث لي على الهاتف مع صديقة في بغداد يبرز حجم تصورها لانحلال وفساد المجتمع الغربي الذي اعيش فيه. عدم توقفي عند تعليقاتها له جملة من الاسباب منها ان المكالمة تمر عموما بالمجاملات بسبب حساسية قائمة أشعر بها من جهتها كلما تحدثنا معا. لم نفلح في تجاوز هذه الحساسية ؛ كونها هناك وكوني هنا. ثم الوقت الى جانب ذلك لا يسمح، وهي تعلق سريعا لتنتقل من موضوع الى موضوع، في بسط الامور ومحاولة تصنيفها وتوضيحها لها. انها الصورة النمطية للغرب، كما هناك صورة نمطية للشرق، ولقد تطلب مني الامر وقتا طويلا لاراجعها واقلبها في داخلي من دون خوف. النعوت هذه (الفساد والانحلال) تعتمد على منظورنا المختلف للامور، كل حسب رؤيته بالطبع. وليس مفاجئا ان يوجد هنا من يختلف معي من الغربيين ويشترك مع الصديقة. ولكني مازلت استعيد الصورة الاحادية التي نقلت لنا عن الغرب ونشأنا عليها جميعا من قبل الحكومات العربية المختلفة وقد مزجت فيها النظرة السياسية مع السياق الانساني، ولابد من الاشارة الى اننا من الشعوب التي مورس التعتيم عليها باحكام شديد فيما سبق وحال دون توصلنا الى رأي فردي مستقل بشأن المجالات والمظاهر المختلفة في حياتنا.

سؤالي غير البريء اطلاقا؛ - أين مكان الكلمة الصحيح، ان ننشغل ونتتبع ونحاكم الشباب في أمور الحب والعلاقات العاطفية ونتهم تلك وذاك بالفساد علما بأن كل الاديان تدعو إلى الحب في رسالاتها، أم نعد العدّة لمتابعة ومحاسبة ومحاكمة موظف في الدولة لأدائه الوظيفي بتهمة الانحلال والفساد؟

ويحضرني على هامش ما تقدم مقالا لأستاذنا صلاح نيازي الذي حدد فيه كعادته بدقة وتكثيف الحالة التي ارى في تكرار نقلها افادة لنا جميعا وهي مجتزأة من مقال تحت عنوان تجربتي الشخصية في الغرب وهو من جملة ما كتب في اطار رصده لتحرك المجتمعات المختلفة، وتأمله العميق في الهنا والهناك - " المعصية –قبل كلّ شئ –كلمةٌ دينيّةٌ تحريمية من وجهة نظرٍ شرقيةٍ، أما من وجهة نظرٍ غربيةٍ فلم يعدْ لها ولا للكلماتِ الدينية الأخرى أيّ زخمٍ في التعاملات اليوميةِ. بطل سحرها منذ عهود وحلت محلّها اللغةُ العلميةُ أو كادت. أكثر من ذلك كيف تكون معاصي وهي إما مجازةٌ بالقانون نصاً، أو أن تحريمها غيرُ منصوصٍ عليه. على هذا فما اعتبره الكاتب معاصي، يعتبره القانون الغربي "حرية فردية"".

ينابيع الأمل

"مه راني" اسم واد يقع في خاصرة سلسلة جبال كارة الوعرة ، في منطقة بهدينان في كوردستان العراق ، وارتبط الوادي باسم الأنصار. البيشمه ركه الشيوعيين . في ٢ / ١٠ / ١٩٨٢ اختير الوادي مقرا لمقاتلي الفوج الاول ، من قوات قاطع منطقة بهدينان لانصار الحزب الشيوعي العراقي

يوسف أبو الفوز
كاتب

. أخذ وادي "مه راني" أهميته كموقع للأنصار من موقعه المهم ، المتقدم نسبيا ، في عمق الوطن ، وسط مواقع قوات النظام الديكتاتوري ، حيث يتوسط المقر عدة اقضية ونواحي مهمة ، الذي اهله لان يكون ليس فقط مقرا خلفيا لقوات أنصار الحزب الشيوعي الناشطة في المنطقة ، بل وصار موقعا يثير أجهزة النظام الديكتاتوري بنشاطاته التي تجاوزت كونه موقعاً آمناً لقيادة قوات الأنصار، اذ صار موقعا سياسيا ينبض بالحركة والعلاقة مع جماهير المنطقة ، ولذلك راح طيران النظام الديكتاتوري يكرر غاراته على المقر باستمرار . وشيد الأنصار مقرهم على أنقاض قرية تحمل اسم الوادي ، هجرت ضمن سياسة التهجير القسرية التي مارسها النظام المقبور ضد الالاف من القرى الكوردستانية . بنى الانصار غرفهم بالاستفادة من تضاريس الوادي ، وحسب خبرة المهندس الأول في المنطقة ، الا وهو الفلاح الكوردي ، الذي يفهم جيدا كيفية توظيف ثنايا الجبل وصخوره لبناء غرف للسكن تصمد أمام المطر والثلوج والبرد . تميز وادي "مه راني " بوجود كثافة من أشجار الجوز المعمرة ، التي كانت تساعد على تمويه موقعه أمام طلعات الطيران المتواصلة ، وتصطف على جانبي مسيل ماء نبع عذب بارد طوال السنة ، اشتهر وعرف به الوادي . في تلك الايام الوعرة ، وفي يوم ٣١ اذار ١٩٨٧، واحتفالا بذكرى تأسيس الحزب الشيوعي العراقي ، نظم انصار الفوج الأول في وادي "مه راني" ، يوما احتفاليا شهد الكثير من الفعاليات الفنية والثقافية والسياسية ، معارض تشكيلية ، عروض مسرحية ، قراءات شعرية وحفل موسيقي ، وايضا تجربة الاذاعة الداخلية التي بثت برامجها ليوم واحد ، تحت اسم " إذاعة مه راني ...صوت انصار الفوج للحزب الشيوعي العراقي " ، التي قدمت برنامجا منوعا حافلا ، وكانت تبث عبر جهاز لاسلكي ، وكان اغلب مستمعي الإذاعة بعض سكان القرى المجاورة الذين تم ابلاغهم مسبقا ، وايضا أنصار الفوج الاول الذين راحوا يستمعون الى اذاعتهم بشغف ، ويفرحون اذ تعبر اصواتهم عبر الاثير ليسمعهم من يتلقف اذاعتهم ، وفي بال كل منهم احلاما بوسع الوطن كله .

ودارت الايام ، وحين بدأ الانصار الشيوعيون باستثمار خدمات شبكة الانترنيت ، وتحديدا برنامج المحادثة الصوتية " البالتوك " ، وظهرت امكانية انشاء غرف المحادثة الصوتية ، بادر بعض الانصار الشيوعيين لتأسيس غرفة محادثة سميت " مه راني " ، تيمنا بذلك المكان الاثير لديهم ، لكن التجربة تعثرت بسرعة لاسباب لامجال لذكرها هنا . ومع تشكيل رابطة الانصار الشيوعيين ، ونهوض العمل المنظم للرابطة وتشكيل اللجان الفنية المسؤولة ، واهتمام الرابطة بالنشاط الاعلامي للتعبير عن اهداف وبرامج الرابطة ، ظهرت فكرة احياء غرفة المحادثة الصوتية الخاصة بالانصار الشيوعيين ، ليكون لهم صوتهم . اذاعتهم ، ومكان لقائهم وبث احلامهم وذكرياتهم ، ومتابعة شؤون الوطن ، فكانت غرفة :" ينابيع العراق " !

وأذا كان ينبوع وادي "مه راني" سقى انصار الفوج الاول وزوارهم ، واذاعة " مه راني " لم تتعد مساحة القرى المحيطة بمقر الانصار، فأن " ينابيع العراق " صارت نهرا هادرا سقى بفكره الخصب كل زواره ، من الانصار الشيوعيين واصدقائهم وضيوفهم ، وعلى مساحات شاسعة من كل القارات !

واذا كانت اذاعة وادي "مه راني"، مجرد حلم ، وبثت لنهار واحد ، وكان مستمعيها محدودين جدا ، فإن صوت "ينابيع العراق" صار يدخل كل بيت ديمقراطي وطني، ويرغب بسماع الحقيقة والانصات الى مفاهيم الفكر العلمي التنويري. صارت " ينابيع العراق " صفا دراسيا يفتح ابوابه وقلوب رواده لكل ضيف يحترم حرية الفكر والرأي الاخر ويجلس بهدوء رغبة في الاستفادة والافادة . صارت "ينابيع العراق " شلالا هادرا دفاعا عن الوحدة الوطنية وحرية الوطن . صارت "ينابيع العراق " شعاعا يبث الامل في قلوب المخلصين التواقين لعراق ديمقراطي اتحادي تعددي مستقل مسالم.

كم من نصير مر من هنا ، واخرج من عليجته أوراقه الانصارية ، واستل من خزين ذكرياته صفحات مهمة من تجربته ورواها لنا كم من محاضر ضيف قدم لنا عصارة فكره النير وكم من مستمع تمعن في مصير الوطن في زحمة الحوار الساخن او الهادىء في غرفة " ينابيع العراق.

واذ تطفئ " ينابيع العراق "، غرفة المحادثة الصوتية للانصار الشيوعيين العراقيين واصدقائهم ، على برنامج الانترنيت " البالتوك " ، شمعتها الثالثة ، باقات الورد لكل روادها وزوارها ، وتحية اعتزاز وتقدير للجهود الرائعة والمثابرة للمشرفين على ديمومة نشاط هذا الموقع الاعلامي الوطني.

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١ـ لا يزيد عدد كلمات المقالة على ٧٠٠ كلمة
٢ـ يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة
٣ـ ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
Opinions112@yahoo.com